البنية السردية في رواية "حملة تفتيش

..أوراق شخصية"

للكاتبة "لطيفة الزيات"

إعداد

د. ابتسام رجب عبدالجواد طبل

الأستاذ المساعد في كلية العلوم والآداب طبرجل – جامعة الجوف

المستخلص:

تسعى هذه الدراسة النقدية لـــ" رواية حملة تفتيش ..أوراق شخصية " للكاتبة لطيفة الزيات "إلى معالجة نقدية لهذا النص باعتباره "سيرة ذاتية" وفق المناهج النقدية الحداثية ، وارتضى الباحث أن يتبنى النظرية السردية منهجًا يراود به النص ورغبة منه في "تطبيق المنهج البنيوي التكويني " على هذا النص السيّري ؛ وذلك لأنه أقرب المناهج مقاربة لربط داخل النص بخارجه، ولا نغفل الاستفادة أيضًا من المناهج النقدية الحداثية الأخرى ؛ وبذلك يتم تجاوز النزعة الذّرية في تحليل النص الأدبي ،مادام النص نتاج ظروف اجتماعية خارجة عن إرادة المبدع ، ومادامت هناك علاقة بين الفكر والواقع ،وبهذا ينفتح النص الأدبي على مستويات أعلى من الوعي والإدراك ،ويتحول إلى (رؤية) للعالم ذات دلالة اجتماعية تنظم فضاءه.

واختار الباحث لهذه المقاربة النقدية رافدين :بنية الخطاب السردي من الناحية الشكلية .والرافد الآخر : رؤية العالم (مضمون هذا الخطاب) مع التسليم بأن المهتمين بدراسة السرد لا يقرون بوجود نظرية تجيب عن كل الأسئلة والاطروحات النظرية على مساحة البحث السردي وخصوصًا إذا كان نصًا ينتمي إلى رواية السيرة الذاتية" وهذه المقاربة اقتضت أن يسير البحث وفق محورين : الأول يتحدث عن عناصر الحكاية المكونة لبنائه من(الحدث ،والشخصيّة ،والعلاقات الزمانية، وأبعاد المكان وتجربة السجن التي كانت دافعًا قويًا لكتابة تلك المذكرات) أما المحور الثاني: تناول دور الساردة في صياغة الخطاب وتميّز السرد بالثنائية على كل المستويات بين الضمائر والأفعال لنخلص في النهاية إلى دلالة العنوان وتحديد هوية الجنس الأدبي من خلال النصوص الموازية (الشهادات حول العمل الفني).

الكلمات الافتتاحية: البنية السردية ،حملة تفتيش، لطيفة.

البنية السردية في رواية "حملة تفتيش ..أوراق شخصية"

للكاتبة "لطيفة الزيات"

١-المقدمة

٢-المحور الأول :عناصر الحكاية

أولاً: الحدث الروائي . ثانيًا: الشخصية الروائية -ثالثًا: العلاقات الزمنية

رابعًا: أبعاد المكان أ-الأماكن المحبوبة (البيت)

ب-أماكن الإقامة الجبرية (السجن).

٣-المحور الثاني : صياغة الخطاب السردي

أولاً -الثنائية ودورها في صوغ الخطاب(لعبة الضمائر)

ثانيًا -المراوحة بين الماضي والحاضر

ثالثًا :الأسلوب العاطفي /والسرد

رابعًا :تقنية التلخيص / والسرد

خامسًا: تقنية الحذف /والسرد

سادسًا :العنوان بين الحسي والمعنوي

٤- الخاتمة وأهم النتائج

٥- المصادر والمراجع

١- المقدمة :

-تسعى هذه الدراسة النقدية لـــ" رواية حملة تفتيش ..أوراق شخصية " للكاتبة لطيفة الزيات "إلى معالجة نقدية لهذا النص باعتباره "سيرة ذاتية" وفق المناهج النقدية الحداثية ، وارتضى الباحث أن يتبنى النظرية السردية منهجًا يراود به النص ورغبة منه في "تطبيق المنهج البنيوي التكويني " على هذا النص السيّري ؛ وذلك لأنه أقرب المناهج مقاربة لربط داخل النص بخارجه، ولا نغفل الاستفادة أيضًا من المناهج النقدية الحداثية الأخرى ؛ وبذلك يتم تجاوز النزعة الذّرية في تحليل النص الأدبي ،مادام النص نتاج ظروف اجتماعية خارجة عن إرادة المبدع ، ومادامت هناك علاقة بين الفكر والواقع ،وبهذا ينفتح النص الأدبي على مستويات أعلى من الوعي والإدراك ،ويتحول إلى (رؤية) للعالم ذات دلالة اجتماعية تنظم فضاءه.

واختار الباحث لهذه المقاربة النقدية رافدين :بنية الخطاب السردي من الناحية الشكلية .والرافد الآخر : رؤية العالم (مضمون هذا الخطاب) مع التسليم بأن المهتمين بدراسة السرد لا يقرون بوجود نظرية تجيب عن كل الأسئلة والاطروحات النظرية على مساحة البحث السردي وخصوصًا إذا كان نصًا ينتمي إلى رواية السيرة الذاتية" وهذه المقاربة اقتضت أن يسير البحث وفق محورين : الأول يتحدث عن عناصر الحكاية المكونة لبنائه من(الحدث ،والشخصيّة ،والعلاقات الزمانية، وأبعاد المكان وتجربة السجن التي كانت دافعًا قويًا لكتابة تلك المذكرات)

أما المحور الثاني: تناول دور الساردة في صياغة الخطاب وتميّز السرد بالثنائية على كل المستويات بين الضمائر والأفعال لنخلص في النهاية إلى دلالة العنوان وتحديد هوية الجنس الأدبي من خلال النصوص الموازية (الشهادات حول العمل الفني) .

٢-المحور الأول :عناصر الحكاية

أولاً: الحدث الروائي

يمثل الحدث عنصرًا هامًا من عناصر الحكاية ،ويُنظر إليه باعتباره "سلسلة من الوقائع المتصلة تتسم بالوحدة والدلالة ،وتتلاحق من خلال بداية ووسط ونهاية وفي المصطلح الأرسطي فإن الحدث تحوُّل من الحظ السيء إلى الخط السعيد أو العكس " [١] ولذلك أمكن تقسيمها إلى نوى ؛ وهي تلك التي تشكل لحظات سردية ترفع الحكاية إلى نقاط حاسمة وأساسية في الخط الذي تتبعه ،وأخرى توابع يمكن حذفها دون أن يتأثر بذلك المنطق السردي ،و" إن كان هذا الحذف سيؤثر بلا شك على جمالية الحكاية في صورتها النهاية " [٢] ومن منظور سردي يرى "والاس مارتن" أن نظريات السرد الحديثة تتعامل مع السرد باعتباره " متوالية من الأحداث"[٣]

١-تبدأ الأحداث في" أوراق شخصية" بملاحظة المكان الذي كانت تعيش فيه "لطيفة الزيات" ،وما طرأ عليه من تغيير ، تمثل في امتلاء المنطقة بالمباني الصغيرة الملاصقة ،وإزالة بيتهم القديم بحيث تعذر عليها تحديد الموقع الذي قام عليه البيت القديم :" امتد التغيير على المنطقة التي ولدت فيها... وامتلأت المنطقة بالمباني الصغيرة المتلاصقة والقميئة ،بحيث تعذر علىّ الآن تحديد الموقع الذي قام عليه بيتنا الكبير والقديم "[٤]

وأشارت إلى العلاقة الحميمة التي تجمعها في ذلك البيت المعروف للقارئ بالبيت القديم. ففيه ولدت سنة ١٩٢٣ وقضت السنوات الست الأولى من عمرها قبل أن تنتقل –بحكم وظيفة أبيها ،وهي في الثانية عشرة من عمرها إذ كانت قوية الصلة بذلك البيت .

٢-لقد كانت عملية الانتقال من بيت لآخر ، وما ترتب عليه من تعدد المناطق ، من الأحداث المهمة في حياة لطيفة الزيات وترتب على ذلك عدة أمور : تغير في أسلوب حياتها ، اكتسابها خبرات متعددة ، تسليط الضوء على أحداث بعينها كان لها تأثيرًا كبيرًا على حياة الشخصية فهي قائمة على الانتقاء والاختيار.

---

[١] ينظر : جيرالد برنس : المصطلح السردي :ترجمة عابد خازندار ط١ القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة المشروع القومي للترجمة العدد ٣٦٨ ،ص ١٩

[٢] ينظر : مرسل العجمي ، السرديات مقدمة نظريةط١ الكويت : مجلس النشر العلمي جامعة الكويت الرسالة ٢٠٦ الحولية الرابعة والعشرون ٢٠٠٣-٢٠٠٤ ص ٣٥

[٣] والاس مارتن : النظريات السردية الحديثة ترجمة دكتوره حياة جاسم محمد المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٨ص ١٠٦

[٤] لطيفة الزيات :رواية حملة تفتيش .. أوراق شخصية : للكاتبة لطيفة الزيات طبعة دار الكرمة ٢١٦ .ص ١٢-١٣

٢-من الأحداث التي شكلت سمات الشخصية حكايات جدتها المتعددة عن الجن والعفاريت، والشاطر حسن ، وعن: صبا أبيها وشبابه واقتضى الأمر عندها (بعدم التصديق) ولقد عانت كثيرًا من خلال المقارنة بين الحياة التي تصفها جدتها والحياة التي لاحظتها بعينيها " وأميل إلى الاعتقاد بأن الأمور تختلط على جدتي ،وأن الصبي المتوهج والشاب المليء بالحيوية الذي تحكي عنه قد يكون الشاطر حسن ذاته أو أي شاطر من الشطار غير أبي "[١].

٣-ومن الأحداث التي تدل على شدة وعيها المبكر ملاحظة ما يتعلق بنوعية القصص الموجهة من الرجال إلى الأولاد دون البنات فهي حكايات تتعلق بالترحال والسفر في البحر "والرجال يعاملون الولد كما لوكان رجلاً يحكون أمامه حكايات البحر والموانئ ويفتحون عينيه قبل الأوان على دنيا غير الدنيا"[٢]

٤- ثم تنتقل الأحداث إلى حياتها الشخصية وما يتعلق بتاريخ زيجتها الأولى ،وتتمثل في المطاردة الدائبة من جانب البوليس السياسي لها ولزوجها ، وما استدعى ذلك من الانتقال من مسكن إلى مسكن ،إلى أن انتهى بهما الأمر في السجن سنة ١٩٤٩ وذلك إثر مظاهرة شاركا فيها في أعقاب حرب فلسطين ،وتطبيق الأحكام العرفية ،إذ ترى الكاتبة في ذلك التنقل تنقلاً قسريًا مماثلاً لذلك الانتقال من البيت القديم .

٥-وعلى الوتيرة نفسها ترى لطيفة في زيجتها الثانية التي بدأت عام ١٩٥٢ ودامت ثلاث عشرة سنة انتقالاً غير اختياري ، لاسيما وأنها تميزت كغيرها من التجارب بإيقاع الانتقال من مسكن إلى آخر ،لا بداعي العامل الاقتصادي أو الوظيفي ،ولا الفرار من البوليس وإنما بداعي الرغبة في الأفضل " أريد لك الأفضل والأحسن يا حبيبتي "[٣]

٦-وفي العام "١٩٦٥" غادرت لطيفة بيت زوجها الثاني منفصلة عنه ،وعادت إلى بيت أسرتها مثبتة بكروية مجرى حياتها أن الأرض كروية [٤]، وعلى هذا فإن عدم الاستقرار كان الطابع العام لحياتها ، وورثها هذا تقلب في مزاجها وسوء حالتها النفسية .

٧-ثم أشارت إلى الحب الذي مس شغاف قلبها لرجل يكبرها بثلاث عشرة سنة ،وهي في سن السابعة ،في أثناء وجودها في المنصورة وعندما صعدت إلى الغرفة التي على سطح البناية ،ووصفته بأنه طالب في كلية الآداب ، وشاعر بارز هو الشاعر الهمشري ،إضافة إلى الصفات التي تجعله تمثالاً للتأمل والتفكر ،بتعبيرها قد نحت نحتًا فريدًا ،أثار فيها الشعور بالجمال على إطلاقه ،والكمال على إطلاقه "[٥]

---

[١] رواية حملة تفتيش :ص ١٥

[٢] الرواية :ص ١٦

[٣] الرواية : ٢٨

[٤] الرواية :ص ٢٧

[٥] رواية حملة تفيش : ص ٤٦

٨-وتصور لطيفة الزيات أثر قصة "ريا وسكينة"[١] في نفسها ، تلك القصة التي روتها أمها لها وهي في الثامنة من عمرها وهي معرفة غير مباشرة للشر .

وفي العام ١٩٣٤ وهي في الحادية عشرة من عمرها أثرت فيها حادثة منع (إسماعيل باشا صدقي) رئيس الوزراء يومئذ "مصطفى النحاس[٢] زعيم حزب الوفد والأغلبية : بالقيام بزيارة للأقاليم ، لقد تحول شاعرها إلى مجموعة من الخنادق لتحول دون وصول الجمهور إليه ليتحول الموكب إلى صدام حاد ومظاهرات قتل فيها (أربعة عشر قتيلاً) عدتهم هي بذاتها .

٩-وفي العام ١٩٤٦وجدت لطيفة الزيات الملاذ في الكل من خلال مشاركتها في مظاهرة تندد بالاستعمار ، وبالأنظمة العميلة ،وتتحدى رجال الشرطة بهرواتهم الثقيلة ، لا تأبه بما قد يصيبها ،وبما قد ينتهي بها الأمر ،مظاهرة تصل إلى كل مدينة وكفر ونجع في مصر والبلاد العربية.

١٠-وفي العام ١٩٦٥ انفصلت لطيفة الزيات عن زوجها الثاني في محاولة أن يثنيها عن إتمام إجراءات الطلاق يقول لها " ولكني صنعتك"[٣] هذه العبارة أثرت فيها وهي حادثة مهمة في حياتها جدًا فقد انفصلت بملء إرادتها وعانت كثيرًا بعد وهم التوحد الذي عاشته معه لمدة(ثلاث عشرة سنة) ، وهي بهذا التصميم والتحقيق تسترجع الإرادة الكاملة في توحيد فكرها، ووجدانها ورؤيتها للواقع إذ تشعرنا بأنها وقعت في مصيدة الزيف والخداع طوال هذه المدة [٤]

١١-وتحتل هزيمة ١٩٦٧ بأثرها مكانًا أكبر من حادثة الطلاق ،بحيث طغت هي وحوادث أيلول ١٩٧٠ على أحداث أخرى مهمة ، كموت (جمال عبد الناصر) ،واستمرت معاناتها إلى العام(١٩٧٢-١٩٧٣) لتبدأ معاناة أخرى بفقدها زوج أختها " محمد الخفيف" ١٩٧٢ وقد وصفته بالصديق الزميل ، وطارت معاناتها وهي تصارع الموت وتتحداه وتدفعه عن أخيها "عبد الفتاح" معركة خاسرة مع الموت بوصفه قوة مختلفة عن القوى الاجتماعية ،أو السياسية التي واجهتها وانتصرت عليها ،وقد أثر موت طه حسين في ١٦-اكتوبر ١٩٧٣ في نفسها بقدر ما أثر فيها إعلان السادات استعداد مصر لقبول وقف إطلاق الطلاق النار في التاريخ ذاته "[٥]

١٢-وفي عام ١٩٨١ تم إلقاء القبض عليها في منزلها ،إثر نشاط سياسي في أعقاب المعاهدة المصرية الإسرائيلية ،ضمن حملة واسعة امتدت فيما امتدت إلى أخيها محمد ،وانطلاقًا من هذه الحادثة تعاودها الحادثة الأولى لتجربة السجن في مقاربة بينهما ،وخليط من الأفكار يعزز شعورها بالاغتراب ،ذكرى تتمثل في إفساح المجال لإسرائيل لكي تفعل ما تريد ، دون أن يهتز للشعوب العرب إحساس بالسخط والنقمة.

---

[١] الرواية :ص٥٠

[٢] الرواية ٥١-٥٢

[٣] الرواية :ص٥٧

[٤] الرواية :ص ٦٠

[٥] الرواية :ص ٨١

ثانيًا: الشخصية الروائية

تتميز الشخصية في رواية السيرة الذاتية بالثبات والانضباط أحيانًا وتبتعد عن النمطية فهي "شخصية تتمتع بالحيوية ، وتعيش لحظات الضعف والتردد والمكاشفة والتحدي والصمود وتعرية الذات ومساءلتها والتصالح مع النفس "[١]كما أن الشخصية السيرية تنتمي لما هو حقيقي لا متخيل ، بعكس الشخصية الروائية التي عدّها بارت كائنًا من ورق وكما اعتبرها " جان ريكاردو "كائنًا أدبيًا "[٢]وارتباط الشخصية في رواية السيرة الذاتية بوقعها المرجعي / الحقيقي باعتبارها " كائنات حية " لا يعني أنها بعيدة عن " الخيال " فالشخصية ماثلة في النص بسماتها الواقعية ، لكن ما بين النقل من الواقع إلى الورق ،تخضع للتخييل.

١-من الخصائص العامة لشخصية " لطيفة الزيات" انعكاس الأحداث العامة على تاريخها الشخصي [٣] فتتخذ من عام (١٩٧٣) لما يمثله هذا العام للكاتبة على المستوى الشخصي من نقطة فارقة حيث يشهد هذا العام موت أخيها عبد الفتاح والدكتور طه حسين ومن قبلها موت زوج أختها محمد إلى جانب الحدث الأهم هو انتصار السادس من أكتوبر ١٩٧٣فإذا كان هذا العام قد شهد مجموعة الهزائم على المستوى الشخصي فإنه على المستوى الجمعي يمثل قمة الانتصارات؛ لذا يكون دافعًا لديها وباعثًا لكتابة هذه المذكرات حيث كما تقول " لو لم يكن ٦ اكتوبر ١٩٧٣ لما شعرت بالرغبة في كتابة هذه المذكرات والرغبة في أي شيءٍ كان. أعرف أن تربيتي السياسية تحولت على مر الزمان إلى سلوك ووجدان ،وقد أنقذنني من بعض الحفر الفردية التي ترديت فيها ،ومن كل الهزائم السياسية التي نكبت بها مصر ونكبت بها بالتالي "[٤] وتقرن العام بالخاص وتحكي عن تجربة الطلاق " قلت بعد أن نفضت عني زيجتي الثانية ،لا شيء يدمرني ،قلت بعد هزيمة ١٩٧٦ رغم أني ظللت شهورًا أدق بيدي على صدري وأقول هذه الهزيمة حدثت لي على المستوى

الشخصي"[٥] وقد اعتبرت(زينب العسال) إدراج هذا العمل تحت نوع " رواية السيرة" لما يحققه هذا الشكل الجديد في الكتابة من القدرة على التواؤم بين الذات والقضايا

القومية التي لم تنفصل عنها ذات الساردة ، وهي تحكي عن أخص خصوصيتها "تجربة الطلاق" وأثرها المعنوي على ذاتها ومسارها فتقول (زينب العسال) فهذا النوع يتلاءم مع تجربة الاستاذة

---

[١] زينب العسال : تفاعل الأنواع في أدب لطيفة الزيات :كتابات نقدية ع (١٤٠) الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ط أولى ٢٠٠٣ ص٣٨٣

[٢] جان ريكاردو "قضايا الرواية الجديدة " ترجمة صياح جهيم وزارة الثقافة والإرشاد القومي ص ٢٨

[٣] فعلت هذا في رواية الباب المفتوح : الباب المفتوح عام ١٩٦٠ إذ اتخذت من مسارات الأحداث الكبرى التي مرت بها في حياتها رابطًا لاكتشاف ذاتها والتحام هذه الذات الفردية.

[٤] رواية حملة تفتيش للطيفة الزيات طبعة دار الكرمة دار الكرمة ،القاهرة ٢٠١٦ ص ٧٩

[٥] الرواية : ص ٨٠

الجامعية والمثقفة المبدعة والمرأة المهمومة بقضايا وطنها ومشكلاته فجاءت الأوراق تمثل الهم العام والذات الجمعية وتحقق الذات الفردية عن طريق امتلاك حريتها فحرية الفرد لديها- ما ترتبط بحرية الوطن " "[١]

٢- ومن السمات التي تبرز أيضًا في شخصية لطيفة الزيات ،ذلك الحنين المستمر إلى الماضي بما فيه من الأم ،إذ يشكل هذا الحنين عائقًا لها كلما حاولت التقدم خطوة إلى الأمام ،فأضفى حنينها على شخصيتها نوعًا من الضعف والاهتزاز :" وقد حسبت في الفترة من ١٩٤٣إلى ١٩٤٩أني حسمت الصراع الدائر داخلي لصالح واقع من صنعي واختياري.

٣- وإذا كانت تربية لطيفة قد عجزت عن تلبية حاجاتها النفسية ،مما جعل شخصيته في المرحلة المبكرة من حياتها –ضعيفة ،فإن مجتمع المدرسة والجامعة منحاها الثقة بالنفس وبدأت تشعر بأنها إنسانة قادرة على الانخراط مع الكل في تهيئة للإبداع ،وأن ذلك نابع من الاستعداد الفطري لديها ؛ لذلك فهي في طبيعة تكوينها قوية ، وما كان ينقصها هو الدعم والتشجيع :" في مراهقتها عرفت الفتاة فورة الجنس ، وبحكم تربيتها وجديتها صادرتها ،وفي ظل شعور حاد بالذنب دفنت في أعماقها الأنثى حتى غابت عن وعيها ، أو كادت ،لا تبدي منها إلا هذا الخجل الذي تستشعره من هذا الجسد الممتلئ بالاستدارات ...ويصعب على الإنسان تصديق التطور الذي حدث لهذه الفتاة ،بعد سنتين من بداية دراستها الجامعية وعندما التحقت بالجامعة أول ما التحقت ، جاءت ومعها كل شعور البنت بالنقص "[٢]

٤-تتصف الكاتبة بالقدرة على تقديم نفسها ،والاعتراف بالشيء ،ولوكان سلبيًا ،فهي لا تخجل من التعبير ،وقد ظهر هذا المنحى في سيرتها كثيرًا : كانت المرأة في بداية زيجتها الثانية مختلفة عنها في نهايتها ، وكانت في المرحلتين مختلفة عن المرأة التي دخلت سجن الحضرة ١٩٤٩وعن الفتاة التي دخلت جامعة فؤاد الأول على استحياء في اكتوبر ١٩٤٢ ،ولابد أن خطأ ما جمع هذه الأوجه المتعددة لامرأة واحدة هي أنا"[٣]

٥-ومن السمات المميزة أيضًا ذلك الإحساس العالي بالمسؤولية تجاه كل ما يحدث سواء على المستوى الشخصي ،أو على المستوى العام :" كل واحد منا مسؤول عن هذه الهزيمة ، لوقلنا لا للخطأ كلما وقع خطأ ما حلت هزيمة "[٤]

٦-كما أنها تتسم بالتصميم والإرادة ؛ إذ إنها عندما تضع أمام عينيها هدفًا معينًا ،لابد أن تحققه متجاوزة كل السبل لتثنيها عن تحقيقه ، ومثال ذلك تصميمها على الانفصال عن زوجها الثاني :" وراجعت نفسي قبل أن أرد ، لو صعدت النغمة ستفشل المهمة التي جئت من أجلها ، قراري

---

[١] زينب العسال : تفاعل الأنواع ص٣٨٣

[٢] حملة تفتيش ص ١١٩-١٢٠

[٣] رواية حملة تفتيش ١١٤

[٤] رواية حملة تفتيش ص ٦٤

بالانفصال عمره خمس سنوات وعمر القدرة على إخراج القرار إلى حيز التنفيذ شهر ، لي شهر أدير اللقاء للطلاق " [١]

فمفهوم الحرية عندها ينطلق من موقف غير تقليدي ،فالحرية لديها لا تعني الانفراد بشيء يرفضه من حولها ، وإنما الانخراط بشيء يقبله كل فاهم ،أو يسعى إليه كل راغب بالحرية التي تطال الجماعة ،ولا تقتصر على الفرد ومثال ذلك الانخراط بالعمل الجماهيري ،حتى إن الحب بالنسبة لها يتساوى والرغبة في التوحد مع مطلق من المنطلقات كان :" يساوي الرغبة المحرقة في الضياع مع الآخر ، في التواجد من خلال الآخر ، فقد الأنا وهوية الأنا ،والتحرر من جسد الأنا ،والتوحد مع الآخر في السعي إلى ما هو مطلق أبدي في عالم يقوم على النسبية وينطوي على قصورات التغير الدائب "[٢] فشخصية الكاتبة (لطيفة الزيات) هي الشخصية الرئيسية في العمل ، تدور الأحداث جميعها حولها ،حتى الشخصيات الأخرى تبدو ضرورية بقدر أثرها في حياة الشخصية الرئيسية ،إذ بتأثيرهم تكونت شخصيتها بعد مد وجزر من الضعف والقوة .

ثالثًا: العلاقات الزمنية

تُعدُّ مقولة الزمن واحدة من أهم المقولات الثلاث في دراسة السرد؛ فأي تحليل سردي مُطالب بالوصول إلى تقديم وصف بنيوي للإيهام الزمني[٣] كما تستدعي الرواية من حيث هي نوع أدبي الاحتفاء ببعد الزمن حيث الرواية (فن زمني) [٤]ويؤكد معظم النقاد[٥] على اختلاف زمن القصة (الحكاية) عن زمن الخطاب حيث أن زمن الخطاب هو زمن حاضر أما زمن القصة (الحكاية) فهو زمن (ماضي)

-ومع غلبة الزمن التتابعي / الكرونولوجي في رواية السيرة الذاتية؛ فإن هناك مسارًا آخر للزمن هو الزمن المقطّع (حيث يتداخل الحاضر مع الماضي، والحاضر مع المستقبل) فالزمن في هذه الحالة لا يسير في خط تتابعي ؛ وإنما يتوقف هنا عبر الاسترجاعات التي تأخذ حيّزًا فضائيًا في النص فيأتي ترتيب الأحداث في (الخطاب) مغايرًا لترتيبها في الزمن الواقعي (زمن الحكاية) وهذا راجع في الأساس إلى أن كاتب رواية السيرة الذاتية يُعطي للدفق المتوالي للذكريات أولوية على مراعاة النظام التتابعي للأحداث أو بتعبير "توماشفكس" "دون" مراعاة لمبدأ السببية.

---

[١] الرواية : ص ٥٧

[٢] الرواية : ٤٧-٤٨

[٣] رولان بارت : التحليل البنيوي للسرد ترجمة حسن بحراوي :بشير قمري عبد الحميد عقاد ضمن (طرائق تحليل السرد الأدبي) ص ١٩-٢٠

[٤] محمود أمين العالم " الرواية بين زمنيتها وزمنها :مقاربة مبدئية عامة مجلة فصول ربيع ١٩٩٣م، ص ١٣

[٥] منهم جيرار جينيت في " خطاب الحكاية بحث في المنهج " ص ٤٥ وما بعدها

-ويشمل زمن ((حملة تفتيش) المرحلة التاريخية الممتدة من (١٩٥٠-إلى ١٩٧٣) الجزء الأول .(والجزء الثاني ١٩٨١) استغرقت هذه الأوراق مدة أكثر من ثلاثين سنة من عمر الكاتبة المرحلة الممتدة (١٩٥٠- ١٩٨١) وتعكس هذه الفترة الزمنية الواقع الاجتماعي والسياسي التي حددته الكاتبة بتلك التواريخ ،واتخذت التاريخ اطارًا شكليًا خارجيًا للأحداث، وقد اعتمدت الكاتبة جملة من المصادر المتنوعة الأحداث التاريخية ، والمصادر المكتوبة ، والوثائقية والشهادات الشفوية وعبرت عن كل ذلك بتقنية الاسترجاع والمفارقات الزمنية فتعود إلى الماضي ،ولكن لحظة الحكي والاسترجاع كان في الإطار الزمن الخارجي (التي عنون به)(١٩٧٣) زمن الحكي فلحظة الحكي أو القص وهي بدأت عند احتضار أخيها قبل مايو ١٩٧٣م وفي هذه اللحظة تتوقف عن الكتابة وتذهب بالمفارقات الزمنية والاسترجاع نحو فترة الطفولة.

١-ولقد شكل الزمن الخارجي (الحسي) هاجسًا قويًا نحو الكتابة وهو في مارس ١٩٧٣ تقول " أجلس لأكتب أدفع الموت عني فيما يبدو أنه سيرة ذاتية لا يُكتب لها الاكتمال بموت أخي في مايو(١٩٧٣)[١] ثم تليها صفحات مؤرخة في العام ١٩٦٧ ، فالزمن لا يأتي على الترتيب الطبيعي والتسلل الزمني في "أوراق لطيفة الزيات" من الميلاد إلى الشباب إلى الكهولة، ولكنها سيرة مجهضة وغير مكتملة، فجاءت على هيئة مذكرات متباعدة في الزمن .

لتعود بنا الكاتبة في الجزء الأول نفسه فتؤرخ لأوراق كتبت بالتحديد في العشرين من أكتوبر من العام ١٩٧٣،ومن باب أولى انطلاقًا من العناية الزمنية أن يقدم العام ١٩٦٧ على العام ١٩٧٣ ، ومن باب أولى انطلاقًا من العناية الزمنية أن يقدم العام ١٩٦٧على العام ١٩٧٣ ليندرج العام ١٩٧٣ في فترة مايو وأكتوبر في كل متكامل ،دون أن يفصل بينهما عام آخر.

٢-ولذلك فإن التباعد الزمني في فعل الكتابة فرض على عملية سرد الأحداث صفة التكرار والتشابه ،ومن هنا فإن زمن الكتابة شكل لدى المؤلفة الحدث الرئيسي في السرد ،باستثناء الصفحات الأولى ، مما يدل على محاولة المؤلفة أن تندرج عملها في سياق متلاحق للأحداث ، إلا أن هواجس زمن الكتابة ألحت عليها وظهرت جلية في الصفحات التالية للعمل ، فلو تناولنا بدايات السيرة فإننا نجد الكاتبة تسرد ما يتعلق بالطفولة والبيت القديم ،وأماكن الانتقال ،وما يتعلق بتجربة الزواج الأولى المرتبطة بتجربة السجن ، وهي أحداث على مسمياتها تبدي تعاقبًا لمجري الحياة ، فما يتعلق بالطفولة في البيت القديم "ومازالت صورة بيتنا القديم محفورة في ذاكرتي ، فقد ولدت فيه في ٨- أغسطس ١٩٢٣م وقضيت فيه السنوات الست الأولى من عمري "[٢] وما يتعلق بالطفولة في المنصورة "كان بيتنا الأول في المنصورة بيتًا قديمًا وصغيرًا تسكن الدور الأول منه صاحبة البيت وهي أم الكاتب الصحفي أحمد التابعي "[٣]

---

[١] الرواية :ص ١١

[٢] الرواية :ص ١٢

[٣] الرواية :ص ٤١

٣-وإذا نظرنا في الصفحات المؤرخة "١٩٦٧ فإننا سنلحظ غاية المؤلفة من سرد حوادث تتعلق بزمن الكتابة ،المرتبط بحدث تاريخي مهم تمثل بهزيمة ١٩٦٧ ، فشكّل زمن فعل الكتابة بحدثه دافعًا ،للخروج من جو اليأس والإحباط عن طريق الكتابة :" وهزيمة ١٩٦٧ تدهمني تفصل ما بين مرحلتين ، ما بين عمرين ، والكلمات قد فرغت من معانيها كل الكلمات ،وفي عباءة التاريخ والاقتصاد ، حيث الوقائع احتمي من الكلمات "[١] وذلك في محاولة الملاءمة أي النفس مع الظروف المحيطة ،فالحدث المتعلق بزمن فعل الكتابة هو الهاجس الذي يلح على الكاتبة ،ويضاف إليه أحداث تسردها المؤلفة متعلقة ببعض ما ذكر سابقًا :" وكيف يتأتى لي أن أشرح للناس أن زوجي بما جد أو مالا يجد ،بما يفعل وبما لا يفعل ، لم يعد منذ زمن طويل طرفًا في معركة هي أولاً وأخيرًا معركتي "[٢].

٤-يمثل الجزء الثاني من أوراقها الشخصية المعنون والمؤرخ : من كتابات في سجن القناطر الخيرية سنة ١٩٨١ فاصلاً آخر من المسافة الزمنية المباعدة بين الكتابات ، وهو زمن فعل الكتابة ، وتسرد فيه المؤلفة الحدث الحاضر مشوبًا بأحداث ماضية ، فالحدث الحاضر المرتبط بزمن فعل الكتابة هو الدافع الأساس المتمثل بتجربة السجن الثانية في سبتمبر ١٩٨١ ، ولا يغيب عن هذه الأوراق إضافة إلى الحدث الحاضر ذكر مماثل للتجارب المتكررة فيما سبق ، من تجربة السجن الأولى والمرتبطة بتجربة الزواج الأول ، وتجربة الزواج الثاني وهزيمة(١٩٦٧)

تقول "كانت المرأة في بداية زيجتها الثانية مختلفة عنها في نهايتها وكانت في المرحلتين مختلفة عن المرأة في أكتوبر ١٩٤٢ ولابد أن خطأ ما جمع هذه الأوجه المتعددة للمرأة الوحيدة التي هي أنا ،خطأ ضم هذا الشتات إلى لحظة دخلت سجن القناطر ١٩٨١ في سن الثامنة والخمسين "[٣]

٥-والحال ذاته في حملة تفتيش " فزمن فعل الكتابة الدقيق ١٣ نوفمبر ١٩٨١ هو الحدث الحاص[٤] والدافع الأساس للكتابة المرتبط بزمن فعل الكتابة ، أوراق تسرد لتجربة تفتيش معنوية ،تجعل من الحدث الحاضر صدى لأحداث ماضية توقظها

فتخوض في أغوار النفس من خلال تلك الأحداث "لم تكن المذبحة التي شاهدتها الصبية في منتصف الثلاثينات من شرفة البيت بشارع العباسي بالمنصورة كابوسًا كانت واقعًا "[٥]ولهذا فإن زمن فعل الكتابة هو المحرك الأول لسرد زمن الأحداث وهي أحداث تتراوح بين الظهور والاختفاء تلح على المؤلفة فتسترجعها ،رغم التفاوت الزمني في فعل الكتابة ،ـ وذلك لما لها من أثر مركزي وجوهري في حياتها .

---

[١] الرواية :ص٦٣

[٢] الرواية :ص ٥٨

[٣]الرواية : ص ١٠٥

[٤] الرواية :ص ٩٦

[٥] الرواية :ص ٥٠

رابعًا: أبعاد المكان/والحكاية

تنبثق أهمية دراسة (المكان) في الرواية كونها مرشدًا إلى نماذج أكثر دلالة وعلى الحياة ،ومن هنا تأتي أهمية المكان ليس كخلفية للأحداث فحسب؛ بل وكعنصر حكائي قائم بذاته إلى العناصر الفنية الأخرى المكونة للرواية .

-فأول تعريف حول المكان وماهيته نجد : غاستون باشلار الذي فتح الباب واسعًا في دراسة المكان: يرى أن المكان هو "البيت ،هو كل شيء ،إذ يعجز الزمن عن تسريع الذاكرة ، هو مكان الألفة "[١]-بينما ترى " سيزا قاسم "أن المكان – بالمعنى الفيزيقي- أكثر التصاقًا بحياة البشر من حيث إن خبرة الإنسان بالمكان ، وإدراكه له يختلفان عن خبرته وإدراكه للزمان ، "[٢]"وهذا يفسر أن البشر لجأوا للمكان في تشكيل تصوراتهم للعوالم المادية وغير المادية على السواء ، فالقرب والبعد ، والارتفاع والانخفاض والكبر والصغر علاقات مألوفة تربط الإنسان ارتباطًا بدائيًا بالمحيط الذي يعيش فيه "[٣] فالتعريفين السابقين ، قد حدد المكان على أنه أساس لارتباطه بالإنسان من ناحتين :ناحية مادية ، فتعريف باشلار يقودنا إلى تعريف المكان من الناحية المادية. ثم بعد ذلك تتولد الألفة والمحبة من خلال الارتباط بالمكان ارتباطًا نفسيًا ووجدانيًا لذلك نسمع في الأدب عن المكان المألوف والمكان المعادي .

-واستثمرت رواية السيرة الذاتية هذين النوعين من الأماكن :

أولاً: أماكن الإقامة الاختيارية وهي الأماكن المحبوبة لدى الكاتبة كالبيت القديم وبيت الزوجية في سيدي بشر وبيت المنصورة لأنها عاينت الجمال المطلق وكانت رحلة الاكتشاف :

---

[١] غاستون باشلار : جماليات المكان ، ترجمة غالب هلسا ،ط٢ ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر – لبنان ، ١٩٨٤م ص ٣٩

[٢] سيزا قاسم " القارئ والنص " العلامة والدلالة : الهيئة المصرية العامة للكتاب مكتبة الأسرة ٢٠١٤ ص ٣٧-٣٨

[٣] نفسه : ص ٣٨

١- البيت القديم : هو بيت أثري كبير من بيوتات دمياط القديمة ، كان قد ورثه جدها عن أبيه في جملة من ورث أخوته الذين هو أصغرهم ، وقد أسهبت لطيفة الزيات في وصفها الدقيق له ،وصفًا ينبئ عن ذكريات راسخة لا تمحي ، ففيه عاشت طفولتها غير الممتدة ، إذ انقطعت عنه عندما انتقلت وأهلها يحكم وظيفة أبيها ، وكانت دائمة التردد عليه في العطل الدراسية ، واضطر جدها عندما عجز عن بناء بيت مستقل لكل ابن من أبنائه – كما فعل أبوه سابقًا – إلى أن يضيف إلى المباني القديمة مباني جديدة بلا تخطيط ، وذلك كلما ترملت قريبة من أقاربه ، ورغب في ضمهن إلى البيت القديم ، فقد أكسبها توجه جدها من احتوائه لأكبر عدد من الأقارب في البيت القديم رغبة في التوحد مع الكل في كيان متكامل ، واقتضى هذا الأمر إضافة مباني جديدة سدت الطريق إلى السطح من السلم الحجري ، ليحل مكانه السلم الخشبي الذي يتربص به الثعبان ، فشكل أمر الثعبان عائقًا دون صعودها إلى السطح ، مما أشعرها بالضيق ، فعلى السطح حريتها ، انطلاقها ، ضحكها ، غناؤها ، دون أن يحاصرها أحد أو يزجرها غن فعل شيء ، وعليه فإن العلاقة التي نشأت بينها وبين البيت القديم ،ومن ضمنه السطح تكمن من حيث الأهمية ، في إيجاد نوع من الحرية والانطلاق ،بعيدًا عن كل القيود والأعراف المكبلة ومن بين المنازل التي سكنتها الكاتبة ، ثبتت لها حقيقة واحدة وهي أنه لم يكن في حياتها سوى بيتين من ضمنها البيت القديم ، على الرغم من ارتباطه بصورة الموت ، الممثلة في تجربة الاستقبال العائلي لجثة أبيها فيه :"ولكن الغريب أني حين أفكر في البيت بمعنى البيت ،تندرج كل هذه المساكن في ذهني كمجرد منازل وتتبقى حقيقة ألا بيت لي ،وحقيقة أنه لم يكن لي في حياتي سوى بيتين :" البيت القديم والبيت الذي شمَّعه رجال البوليس في صحراء سيدي بشر في مارس ١٩٤٩"[١]

- ٢- بيت سيدي بشر يكتسب هذا البيت أهمية من كونه يشكل مرحلة جديدة في حياتها ، فهو ضمن البيتين اللذين اندرجا في حياتها ، أولهما البيت القديم وهو ثانيهما ، تلك المرحلة التي وصفتها الكاتبة بأنها من صنعها واختيارها ، وفيه تم إلقاء القبض عليها ،وعلى زوجها ، قبض شرَّفها وصقل شخصيتها :

- كان البيت القديم قدري وميراثي ، وكان بيت سيدي بشر صنعي واختياري "وقد حسبت في الفترة من ١٩٤٣إلى ١٩٤٩ أني حسمت الصراع الدائر داخلي لصالح واقع من صنعي واختياري ، وكنت واهمة وحسبت في فترة زيجتي الثانية من ١٩٥٢إلى ١٩٦٥ ، انتهيت والصراع ينحسم رغمًا عني لصالح البيت القديم ، وكنت أيضًا واهمة ،فما زال بيتي المطل على البحر في سيدي بشر حيًّا في حياتي " [٢]

٣- بيت المنصورة :ويرتبط المكان بالحالة النفسية عند الكاتبة وكونه يرتبط بالحالة النفسية الشعورية لديها ، كانت بارعة في وصفها ببيت المنصورة والمنطقة التي تحيط به ككل إلا أنه لم يستطع أن يحقق لها ما حققه البيت القديم من شعور الأنس والألفة ، بل تراجع بها إلى شعور الغربة والوحشة ، في الصور المبتعدة عن اجتماع العائلة والأقارب

[١] الرواية :ص ٢٦-٢٧

[٢] الرواية ص ٢٨

إلى الاقتراب من جو العزلة والانفصال ،وكعادتها حاولت أن تجد لها ملاذًا ، كالسطح لتفضي به عن نفسها إلى نفسها ، إلا أنه ، وعلى الرغم مما اتصف به من سهولة الصعود خلافًا للبيت القديم فإنه في المقابل لم يقدم لها العزاء أو التسلية في وحشتها ،وقد ارتبط ذلك المكان من سطح بيت المنصورة بمشاهدتها ، ولأول مرة في حياتها طالبًا وشاعرًا بارزًا هو الهمشري ، فكانت تجربة فريدة من نوعها ارتبطت بذلك المكان ."[١]

ثانيًا :أماكن الإقامة الإجبارية/ فضاء السجن

-وهو عكس المكان الأليف ،فهو مكان معادي مثل الغربة والسجن والقبر وغير ذلك من الأماكن التي يبغضها الإنسان ولا يحب البقاء فيها.

تحتل تجربة السجن الجزء الثاني من العمل المعنّون ب(١٩٨١) وإن كان هناك جزءٌ عن السجن جاء بعنوان " من كتاب بعنوان في سجن القناطر الخيرية [٢]

١-ولقد شكل فضاء السجن هذا البعد حيث شكل عالمًا مستقلاً غريبًا عن العالم الخارجي ، عالمًا أحالها إلى إنسانة أخرى تختلف عن تلك التي خارجه ، فقد أكسبها صفات أخرى قد تندرج ضمن الصفات السلبية والإيجابية في آن ، وعرفت فيه شعور الانخراط في كل متكامل ، من خلال التعاون فيما بين المعتقلين :" يحيل السجن القفازات البيضاء الحريرية الناعمة إلى قفازات ملاكمة تصيب الهدف إصابة مباشرة، يختزل السجن الإنسان إلى المقومات الأساسية للوجود والمقومات حبلى بكل الإمكانيات وتصبح أرضًا صخرية وخضراء يانعة الخضرة ، نارًا وماء ، طينًا تدوسه الأقدام وخزفًا يحكي قدرة الإنسان على خلق الجمال ،وإعادة خلق ذاته في السجن يصبح شرسًا وجميلاً"[٣]

٢-المؤلم في تجربة السجن هو " القهر" الذي يفرضه السجن سواء أكان جدرانًا ، أو سلطة من قهر للذات وهو ما يجعل التجربة أكثر ثراءً ، فما أن تطأ أقدام النزيل عتبة السجن " مُخلِّفًا وراءه عالم الحرية حتى تبدأ سلسلة من العذابات لن تنتهي سوى بالإفراج عنه وأحيانًا ،فإن أثارها تظل ملازمة له لمدة طويلة"[٤] [١]

---

[١] الرواية ص ٤١-٤٢

[٢] يشغل هذا الجزء صفحات من ٩٥-١٣٠ طبعة دار الكرمة

[٣] الرواية :ص ١٦٣-١٦٤.

[٤] حسن بحراوي بنية الشكل الروائي: الطبعة الأولى : المركز الثقافي العربي بيروت ١٩٩٠م ص ٥٥

٣-غير أن العجيب في أمر تجربة السجن هو أن المفكرين والكتاب يسعون إلى مقاومة هذا الفعل السلطوي – الذوبان ، الإمحاء بفعل مضاد يتمثل في الكتابة وقد تكون المقاومة عبر الكتابة خير وسيلة لعدم انفصال ذات السجين عن جوهرها.

٤-في معظم روايات السيرة الذاتية جاء حضور تجربة السجن حضورًا لافتًا خاصة لدى الذين مروا بالتجربة –كلطيفة الزيات –وكان حضور السجن في تجربتها حضورًا كليًا وأثر على مفاصل العملية السردية من الاستدعاء من الماضي والانتقال من الطفولة إلى الشباب إلى الكهولة و في تجربة السجن حيث دخلت السجن في سن (الخمسين)

٥-ومثل السجن إطارًا كليًا للتجربة الروائية انصهرت فيها كل التجاب الأخرى من الاستدعاء من الماضي. وذكر الأماكن المحبوبة والاماكن المؤلمة في حياتها حيث كانت البيت القديم في دمياط من الاماكن الاثيرة والمفضلة لديها حيث يحمل عبق وشذا الماضي أما البيت الذي واجهت فيه الموت ماديًا كان في (أسيوط) عندما مات أباها وعادت به جثة ليدفن في مثواه الاخير في دمياط .

٦-يشعر القارئ من الوهلة الأولى أن الكاتبة لا تحفل بالسجن ولا بمآسيه برغم علمها واستقرا هذا العلم في يقينها بأن " السجن والتشريد والقمع والملاحقة والتعذيب ليست سوى وسائل لسلب الإنسان أدميته " [٢]

وهذا ما حدث في المرة الأولى عند دخولها السجن عام ١٩٤٩ فقد تمّ القبض عليها وزوجها الأول في شاليه في المعمورة ثم ما عانته في المرة الثانية في أثناء التحقيقات من الرجل القاسي الملامح –خاصة سخريته منها ومن زوجها "[٣]

٧-ومع أن الساردة تُقدم تسجيلاً دقيقًا لما حدث لها في المرتين فإن القارئ لا يستشعر أن السجن هزمها أو تحولت إلى كائن آخر " كائن أليف " بعد انخراطها في العمل السياسي والجماهيري بل على العكس أصبحت أخرى تلقي " الخطب الرنانة على سلالم إدارة الجامعة وعند نصب الشهيد عبد الحكم الجراحي وهي تعقد الاجتماعات وتقود المظاهرات وتتصدى للرفض الذي يُشكله طلبة الإخوان المسلمين " [٤]ولقد حرصت الساردة على إظهار هذا الشعور الذي تسلّل إلى القارئ في أثناء القراءة من خلال تحوّلها الذاتي إلى عام مشترك فالسجن الذي دخلته مرتين الأولى عام ١٩٤٩هي وزوجها بتهمة الانضمام لتنظيم شيوعي هدفه قلب نظام الحكم ، والثانية عام ١٩٨١ عندما صدر أمر التحفظ الذي أصدره الرئيس السادات في حق ١٥٠٠من معارضي كامب ديفيد .فما فعلته الساردة ،يجعلك تشعر بأنها لم تسجن هي ولا أفكارها ، بل الأعجب أنها جعلت منْ

---

[١] السابق نفسه ص٥٥

[٢] الرواية ص ١١٣

[٣] الرواية ص ١١١

[٤] الرواية :ص ١٢٠

يُنفِّذونَ الأوامر هم المسجونين الحقيقيون ،وهذا ما ظهر واضحًا في موقفها من الضابط المُكلّف وعشرات الجنود المدججين بالسلاح بالقبض عليها وترحيلها إلى سجن القناطر (في المرة الثانية) فرصدها لرد فعل الضابط خاصة سخريته المكتومة من كل ما جرى وما يجري من أنور السادات ومنها ومن أمر التحفظ الذي أصدره ..ومن نفسه ومن الجنود العشرة المدججين بالسلاح يحرسون امرأة في الثامنة والخمسين مُحاطة بالجنود والضباط على وشك الترحيل إلى السجن –لا يسمح بمثل هذه التأملات والدخول في خلجات النفس والإحساس بالسخرية المكتومة وكل هذا يشي بأن أمر السجن لا يشغلها بل بمعنى أدق أنها لا تعير الأمر اهتمامًا "فالجميع في نظرها –وليس هي ولا الـــ١٥٠٠من معارضي كامب ديفيد – هم الواقعون تحت فعل السجن ، فالجميع بلا استثناء في نظرها مسجونون كلٌ على طريقته فإذا كانت هي سجنها في ترحليها إلى سجن القناطر"[١] "أمّا هم فسجنهم من خلال سلب إرادتهم الحرة ،فالسجن من وجهة نظرها – والتشريد والتهذيب والملاحظة والتعذيب ليست "سوى وسائل السلب الإنسان أدميته أو قدرته على التفكير الناقد "[٢]فهذا الضابط وهؤلاء الجنود – من وجهة نظر الساردة –سُلبت إرادتهم ، ويُنفِّذون أوامرًا لا يعلمون عنها شيئًا ، فالضابط من جرّاء عدم الفهم لما يَحدُث خبط بيده خوذة أحد الجنود ، وكذلك الجندي المنفِّذ لأوامر سيده ليس بأكثر منه فهمًا فهو مُوْكّل بحراسة هذه المرأة التي قال عنها رئيسه أنها "متهمة خطيرة " لذا يقف الجندي متحفزًا لانتظار الأوامر غير آبه بما يحدث حوله بل أن ما يحدث له شخصيًا –غير آبه به ،فعندما خبطه الضابط بيده على خوذته ظل خانعًا ومستسلمًا بل "لم يبد على وجه الجندي أي تعبير ،ويد الضابط تهبط على خوذته وكلماته ترن في أذنه "[٣] تنفعل الساردة لما يحدث للجندي ومن شدة التأثر تنسى ما يحدث لها وما هي مُقْدمة عليه ؟! وتنشغل بأمر هذا البائس حتى أنها تخيّلت وتمنت "أن ينفعل انفعالاً سريعًا أو متوسط السرعة أو بطيئًا جسديًا ومعنويًا ...ولم ينفعل ..(أو) أن يرتجف تحت وطأة الخبطة أن يبتسم أن يمتقع أن يخاف أن يغضب ولم يفعل وكأن ضابط المباحث وجّه الحديث إلى آخر وخبط رأسًا غير رأسه المعدنية "[٤] فهذا الجندي وهو أيضًا مسجون فاستسلامه لما يحدث وعدم انفعاله هو في الأساس استلاب لحريته ،ومن ثم يراودها وهي تكتب أو حتى في أثناء دخولها السجن أنها ليست هي الوحيدة المسجونة وإزاء هذا تكسبها صورة الجندي البائس والتي ارتسمت في مخيلتها صورة وجه رجل نصف نائم ونصف ميت إرهاقًا وجوعًا وذلاً ومسكنة" تكسبها –هذه الصورة –إصرارًا وتمسكًا بموقعها في موضع المعارضة "وتزيد –أيضًا- من بغضها لهذا النظام –المشوّه – الذي حوّل هذه الوجوه " إلى عالم ليس بعالم الأحياء –عالم يتوسط عالم الأحياء وعالم الأموات "[٥]

---

[١] الرواية ص ٩٦-٩٧

[٢] الرواية : ص٩٦-

[٣] الرواية: ص ١١٣

[٤] الرواية : ص ٩٦-٩٧

[٥] الرواية : ص ٩٧

٨-فقد بدا الجميع –وفقًا لتخيّلها – في حالة ضيق وتبرم وإذلال وجهل واستلاب لحريتهم كل هذا دفعها لأن تنفصل عن هذا الإطار الذي فُرض عليها ،فتتخيّل كل هذا دفعها لأن تنفصل عن هذا الإطار الذي فُرض عليها ،فتتخيّل نفسها "في سيارة لا يقودها أحد مسترخية ومكتفية بذاتها في نزهة ليلية وحدها "كما تتخيل السيارة " تنساب في هدأة الليل بسرعة تشبه الإعجاز في شوارع القاهرة "[١]

تكمن المفارقة – حيث الضابط يبحث ويجتهد للوصول إلى طريق السجن ليودعها به ،لكنها تُجردِّه من هذا الفعل – الذي يُمثل أحد أوجه قوته وتصرخ بأعلى صوتها " ما عاد عليك أن تسجنني وحريتي تلوح في آخر الطريق كاملة غير منقوصة تنتظر مني أن أمد يدي لأحتويها ".“ [٢]

٩-ومع كل ما حدث لها فإنها تنظر للسجن من منظور آخر فقد استطاعت داخله أن تكتشف ذاتها التي ظلت طويلاً تبحث عنها وتلطمت كثيرًا لاستعادتها ، وأيضًا اكتشفت رؤيتها للحقيقة "[٣] واحساسها بالألفة والدفء في السجن برغم سوء الأوضاع المادية " وذلك لأنها تعلم أنها ليست هي الأولى فقد سبقتها " صديقات" وسيلحق بها "صديقات " جدد بالإضافة إلى تعودها على السجينات اللاتي من تكرار سجنهن صرن "من معالم سجن القناطر "[٤]هذه الاستعادة كانت بمثابة حيل دفاعية حتى تقف " صلبة لا تخشى السجن ولا السجانة ،بل على العكس تشعر ب"الألفة" والدفء "[٥]

١٠-تتاح للذات داخل السجن فرصة للتأمل والتدقيق لمسيرة هذه الذات وقد يصل الأمر إلى المراجعة والتقييم فذات الساردة –هنا- تواجه نفسها داخل السجن فتعيد حساباتها للأشياء فهي عند دخولها السجن لأول مرة وهي في السادسة والعشرين من عمرها في سجن الحضرة وكانت تتوهم أنها " مستعدة" فعندما دخلت السجن للمرة الثانية عام ١٩٨١م أيقنت أنّ" مامن أحد بمستعد" [٦] كما كما تكتشف في سجن القناطر أن المرأة في بداية زيجتها الثانية تختلف عن المرأة التي دخلت سجن الحضرة عام ١٩٤٩ وأدركت أيضًا أن قدرة الإنسان وعدم انهزاميته تكمن في " احتفاظه بأدميته "[٧]

---

[١] الرواية ٩٧:–٩٨

[٢] الرواية ص ٩٧–٩٨

[٣] ممدوح فراج النابي: رواية السيرة الذاتية : الهيئة العامة لقصور الثقافة الطلعة الأولى : ٢٠١١ ص ٣١٢

[٤] الرواية ص ١٠٤

[٥] انظر ممدوح النابي : كتاب رواية السيرة الذاتية ص ٣١٤

[٦] الرواية ص ١١٣

[٧] الرواية ص ١١٣

-فتجربة السجن لم تزدها إلا صلابة وقوة واستطاعت أن تعاود أفكارها وتعقد صلحًا مع الذات المنشطرة التي عانت من الزيف والتقنع خارج فضاء السجن .

٣-المحور الثاني : صياغة الخطاب السردي

يعد مصطلح "السرد " من أكثر المصطلحات القصصية إثارة للجدل ،بسبب الاختلافات الكثيرة حول مفهومه، والمجالات المتعددة التي تتنازعه ، سواء على الساحة النقدية العربية، أم على الساحة الغربية ؛ لذلك يطلق كثير من الباحثين مصطلح "السرد"[١] بوصفه مرادفًا لمصطلح القص ولمصطلح " الحكي" ولمصطلح " الخطاب" ولا يكاد فريق آخر يحدد له مجالاً واضحًا.

والسردية فرع من أصل كبير هو (الشعرية) التي تعني باستنباط القوانين الداخلية للأجناس الأدبية ، واستخراج النظم التي تحكمها والقواعد التي توّجه أبنيتها ،وتحدد خصائصا وسماتها [٢] "إن السردية تبحث في مكونات البنية السردية للخطاب من راوٍ ومروي ومروي له ،ولمّا كانت بنية الخطاب السردي " نسيجًا قوامه تفاعل تلك المكونات ، أمكن التأكيد أن السردية هي : العلم الذي يُعني بمظاهر الخطاب السردي أسلوبًا وبناءً ودلالة "[٣].

-ولقد استخدمت الكاتبة تقنيات في صياغة الخطاب السردي كان من أبرزها الثنائيات على مستوى الضمائر والأفعال والعنوان والحيل السردية الأخرى.

أولاً -الثنائية ودورها في صوغ الخطاب

أ- تقنية الضمائر (الأنا) و(النحن)

-جاء السرد في الرواية مبنيًا على مبدأي الاختيار والانتقاء للأحداث التي أسهمت بشكل كبير وفعَّال في تشكيل الذات وتحويلها من (الأنا) إلى (النحن الجمعي) حتى تصل الذات في النهاية إلى كينونتها الحقيقية ووجودها متدثّرة بعباءة الوصل الجماهيري.

أولاً-المزج بين الوطني والشخصي

أ-كانت تسعى لطيفة الزيات من خلال هذا النص "حملة تفتيش" إلى كسر "عزلة الذات دون أن تكسر الذات وكيف تتواصل مع الآخر دون أن تتلاشى "[٤] فلقد اسندت لطيفة الزيات من خلال المذكرات الاستناد إلى تواريخ لها دلالات وطنية وشخصية. أي أنها تريد مزج الخاص بالعام

---

[١] مفهوم السرد في التراث العربي يدور حول معاني : الاتساق ،والتتابع والموالاه ،والمهارة في النسج والسبك : انظر ابن منظور الافريقي : لسان العرب مادة سرد ،ط دار المعارف

[٢] تزفتان تودروف : الشعرية ، ترجمة شكري المبخوت ورجاء سلامه ،الدار البيضاء ٢٣ ،

[٣] د: عبدالله إبراهيم : السردية العربية : بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي : المركز المركز الثقافي العربي طب١ يوليو ١٩٩٢مص ٩

[٤] خيري دومة :تداخل الأنواع في القصة القصيرة المصرية مرجع سابق ص ٢٦٩

"فموت الأخ عبد الفتاح يتزامن مع عام النصر ١٩٧٣م وهو عام اكتمال الذات المصرية بالنصر بعد الهزيمة في ٦٧ وهي محاولة من الرواية الاستقلال عن أخيها بمحاولتها إكمال سيرتها الذاتية "[١]

كما أن الحدث الأساسي الذي ألهب الحس الوطني لديها هو حادث كوبري عباس "بحر من الشباب يتماوج على كوبري عباس ١٩٤٦ والشابة التي وجدت الملاذ في الكل قطرة من البحر .الفرح الشرس هي والقوة العارمة الفاعلة والأنا هي الأنا والمعنى لأننا نحن بحر من الشباب يتناغم على كوبري عباس"[٢]

٢-تتحول الذات الفردية إلى نحن من خلال الانصهار في الجماعة فتتشكل بذلك ملامح شخصيتها في إطار سياسي عبر علاقاتها بالكيان الجمعي فترصد تجربتها من خلال الربط بين العام والخاص كما يشير عنوان السيرة الذاتية الذي يجمع بين "

"حملة تفتيش ...وأوراق شخصية" وبين الوطن والمرأة وهذا ما تدركه جيدًا لطيفة في المذكرات حيث تقول "النقطة الرئيسية من جديد أننا لا نتوصل إلى ذواتنا الحقيقة إلا إذا ذابت الذات بداية في شيء ما خارج عن حدود هذه الأنا الضيقة ونحن نفقد هذه الذات الحقة حين نصبح محدودين ، محبوسين في قفص ،متحلقين حول الأنا " [٣]

٣-ويتصاعد السرد لتربط بين العبور وحالتها النفسية "وفي اليوم الثاني من العبور شاب التوجس نشوتي ، ولم ترسخ حقيقة العبور في أعماقي إلا في اليوم الثالث ، وأنا أستمع إلى قصة مجدي ولفتني بعدها الرغبة العارمة في الخروج إلى الناس ،في التواجد مع أكبر عدد منهم في الشعور بالانتماء وبالاعتداد كأني أنا التي أديت التحية لمصر "[٤]

٤-وتقول عن تجربتها الخاصة "وجاهدت واعية لاقتلاع ما تبقى منه في كياني ،وأنا أقيّم تجربة زواجي تقييمًا موضوعيًا أربط العام بالخاص ،وأشطر المرأة التي هي أنا إلى شطرين ،شطر يموت وشطر يفلت بالشجن وأنا أكتب سنة ١٩٦٦،السنة التالية لطلاقي مسرحية بعنوان "بيع وشر" ...وهزيمة ١٩٦٧،تدهمني ،تفصل ما بين مرحلتين ما بين عمرين ...وأنا الجندي مستشهدًا لا يعرف من أين واتته الخيانة ...وأنا مثار الشجن وموضع التندر"[٥]

---

[١] ويمكن إضافة (مي التلمساني) وعفاف السيد وميرال الطحاوي ونورا أمين – وغيرهن

[٢] لطيفة الزيات :أوراق شخصية : حملة تفتيش لطيفة الزيات الكرمة للنشر والتوزيع القاهرة ٢٠١٦ص ٥٢-٥٣

[٣] رواية حملة تفتيش ص ٦٩ هذه الإشارة هي التيمة الأساسية لرواية الباب المفتوح" التي أصدرتها سنة ١٩٦٠

[٤] حملة تفتيش :ص ٩٠

[٥] حملة تفتيش ص ٦٣

٥-هذا الإحساس والشعور بالانغماس في الكل لازمها منذ طفولتها فهي لم تنس يومًا ما حدث لها في روضة أطفال المنصورة حيث الفتى عاري الساقين في البنطلون القصير عندما لاحظ عزلتها وأنها تقف منزوية خارج الحلقة وما كان يطل من عينها من استغاثات ونداءات له بأن يمد لها يده وهو ما أدركه الطفل في النهاية

"وفجأة وجدته يسحبني من يدي إلى داخل الحلقة وهو لم يزل يتغنى بالمقطع الموسيقى الذي يكمله الجميع وأسلمت يدي الأخرى إلى البنت المجاورة وانكسرت غربتي وتحقق ما أردت دائمًا وما زلت أريد أن أصبح جزءًا من الكل وانطلقت منتشية أغنى بأعلى صوتي مع الكل أغنية الكل "[١]

٦-وفي ظل الانغماس في الكل / الجماعة يذوب إحساسها بجسدها كأنثى في ظل الوطن فمشاركتها في الحركة الوطنية تحجب إحساسها بأنوثتها و" لم يعد جسدها يربكها ، لم تعد تشعر أن لها جسدًا ،نسيت أنها أنثى على الإطلاق "[٢]

-بل هذا البعد عن الأنا والتحول إلى الآخر يظهر في استخدام الضمائر ...فالمقطع السابق تعتمد فيه على ضمير الغائب وكأنها تريد أن تعمل مسافة سردية بينها وبين ذاتها ..لا تريد أن تلتصق بها بقدر ما تنفصل عنها لتلتصق بالآخر فلا يتحقق لها وجودها كأنثى ودخولها عالم المرأة إلا من خلال التصاقها بالجمهور –الذي تخاطبه في المقطع السابق بضمير الغائب حيث "الناس تعيد صياغتها تمدها بقوة لم تكن لها أبدًا بثقة لا حدود لها ،ترفعها على الأكف كالراية تنصبها مفكرة وزعيمة وتحيلها إلى أسطورة – إنها أنثى على الإطلاق "[٣]

-فلحظة ميلادها الحقيقة لا التي سجلتها في ٨ أغسطس ١٩٢٣م وإنما ولدت من "عباءة الوصل الجماهيري ومن الدفء والإقرار الجماهيري تحولت من بنت جميلة تحمل جسدها الأنثوي وكأنما هو خطيئة إلى هذه الفتاة المنطلقة الصلبة قوية الحجة التي تعرف كيف تأنس للجماهير المقرة وكيف تتصدى لرفض الجماهير وتمسح عليه"[٤] "

٧-الصورة التي تريدها وكانت – أن ترسخ في ذهن الناس ليست الأنثى الجميلة وإنما الفتاة المنخرطة في العمل السياسي والنضال حتى أنها رفضت الزواج من الرجل الذي أحبته وتزوجت من زميل العمل السياسي حيث الزواج بالرجل الأول " يحرمها من العمل السياسي الذي أمنت بضرورته "[٥]فكانت من أجل هذا عند الناس " المناضلة الأخلاقية الجادة الملتزمة "[٦] حتى عند طلاقها من الزوج الأول عام (١٩٦٥) والذي استمر ثلاثة عشر عامًا والذي مثّل لها جراحًا

---

[١] الرواية :ص٤٠-٤١

[٢] الرواية : ص ١٢٠

[٣] الرواية :ص١٢٠

[٤] السابق ص ١٢١

[٥] السابق١٢٢

[٦] نفسه ص ١٢٢

غائرة عندما تحدث هزيمة (١٩٦٧) والتي تُحمّل نفسها مسئوليتها الكاملة تصرخ "يا إلهي كم تكاثرت علىّ السهام وأنا أُجرجر خيبتي نقمتي ورغبتي في الانتقام والكلمات فقدت دلالتها كل الكلمات ومعاناتي الفردية في الماضي تتوارى خجلاً في ظل المعاناة الجماعية ولا أعفي نفسي من المسئولية كيف لم أقل لا؟! كيف لم أجعلها أكثر فاعلية "[١]

بل تعكس صورة هؤلاء الجنود العائدين مخذولين بعد النكسة على صورتها فتصبح هي والجنود كيانًا واحدًا كأنها كانت معهم في المعركة "أنا الجندي مستشهدًا لا يعرف من أين واتته الخيانة وأنا الجندي العائد عاريًا في لفحة الشمس عبر صحراء سيناء وأنا مثار الشجن وموضع التندر كل نكتة يتداولها الناس تصيبني كالسهم في قلبي " [٢]هذا المنولوج الذي يؤكد حالة التباس /توحد بين ذاتها وذات الجنود ،تشير إلى حالة انغماس الذات الفردية مع ذات الكل الذي هو الوطن حتى في أزماته ،لا تتنكر وإنما تُلقى بالمسئولية على عاتقها .وهذا ما نرى نقيضه يوم نصر السادس من أكتوبر.

ثانيًا -المراوحة بين الماضي والحاضر

لجأت المؤلفة في أوراقها الشخصية إلى المراوحة بين استخدام الفعل الماضي والمضارع فالفعل الماضي خاص بأحداث التذكر المتعلقة بأيام الطفولة والشباب ، والفعل المضارع يكثر في الأحداث التي ترتبط بزمن فعل الكتابة ،إلا أن صيغة الماضي هي الأكثر استخدامًا لأن السيرة الذاتية تعتمد دائمًا على الرجوع من الحاضر إلى الماضي ،ومثل ذلك ما يتعلق بتذكر أيام ماضيه :" وقد أزعجتني صورة الطفلة البكاءة التي عكستها ناظرتي ،بمدى ما تناقض الصورة التي كونتها عن نفسي"[٣]

١-أما ما يتعلق بأحداث ترتبط بزمن فعل الكتابة :" وهزيمة تدهمني ،تفصل مابين مرحلتين ، والكلمات قد فرغت من معانيها كل الكلمات ،وفي عباءة التاريخ والاقتصاد ، حيث الوقائع أحتمي من الكلمات كل الكلمات تقدم المؤلفة شخصيتها في العمل بصورة مختلفة ، على الرغم من كونها واحدة ،فأحيانًا تواجهنا في ضمير الأنا ::"وحين تزوجت زيجتي الأولى ،بدأت مرحلة جديدة من مراحل الانتقال من مكان إلى مكان ، وقد تنقلت مع زوجي الأول في المدة الزمنية ٤٨/ ٤٩ في خمسة منازل كان أخرها بيتي الذي شمعه البوليس السياسي "[٤]

وأحيانًا تواجهنا بضمير (الهي) " وبكت حبيبيته وهما يغادران بيته أخيرًا في يونيه ١٩٦٥ "[٥]وأحيانًا هي الصبية ،وأحيانًا هي المرأة ،فتقدم شخصيتها برموز مختلفة على الرغم من كونها

---

[١] السابق ص٦٢

[٢] الرواية : ص ٦٢

[٣] الرواية :ص ٣٦

[٤] الرواية :ص ٢٦-٢٧

[٥] الرواية :ص ٢٧

واحدة "كانت المرأة في بداية زيجتها الثانية مختلفة عنها في نهايتها ، وكانت في المرحلتين مختلفة عن المرأة التي دخلت سجن الحضرة ١٩٤٩ وعن الفتاة التي دخلت جامعة فؤاد الأول على استحياء في أكتوبر ١٩٤٢ ولابد أن خطأ ما جمع هذه الأوجه المتعددة للمرأة الواحدة التي هي أنا "[١]

٢-وهي تحاكي لغة جدتها عندما تقدم الوالد في سيرتها " والرجال يعاملون الولد كما لو كان رجلاً ، يحكون أمامه حكايات البحر والمواني‌ء ويقتحمون عينيه قبل الأوان على دنيا غير الدنيا ، ونساء شقر وصفر وحمر و"بلاي زرقاء " والولد يطلع كل ليلة مخمورًا بلا خمر ، يحلف أنه لن يعود في الغد إلى المدرسة وأن يقلع على أول سفينة تقلع من سفن أبيه كما فعل أخوه الأكبر من قبله ،وجدتي تقفل عليه الباب ليذاكر ،وليفتح عليه بسكه السلامة ،ويجنبه سكة الندامه ولكن الولد يتبخر كالدخان من الحجرة المغلقة ،ولولا سقوطه جريحًا مرة ، وهو يتسلل على المواسير إلى المندرة لما عرفت كيف تبخر "[٢]

ثالثًا :الأسلوب /والسرد

١- يحفل أسلوبها بالعاطفة الفياضة ، تكشف عن مشاعر صادقة حيال من عرفت " هل أستطيع أن أنساك مثلاً أنت يا جارتي ، وأنت من بدلتي وحشتي أنسًا وأحلت غربتي وطنًا ؟ وكيف أنسي يا صديقتي ؟"[٣]

٢-يغيب عن أسلوبها مفهوم الحيادية ، لتحل محلها صراحة تنبئ عن دراية بالنفس ،ومحاولة تقييمها ((لي شهر أدبر للقاء الطلاق ، بالرجاء ، بالحسنى ، يتوسط الأهل والأقارب والأصدقاء ،بالتهديد /ولم أصعد النغمة ، ولكني لم أتراجع أيضًا ،كان من الممكن أن أتراجع الآن بعد أن استردت بعضًا من قدرتي على الفعل ، تراجعت طويلاً وكثيرًا ،حتى أصبح التراجع النمط الذي يتوقعه هو ،والكل مني "[٤]

٣-استخدمت الكاتبة تعليقات وايماءات واستباقات ، كما نجد الاستدراكات أحيانًا بين أقواس " المرأة في مقتبل العمر في صحراء سيدي بشر " التي لم تعد صحراء ، تقذف بمقدمة حذائها الطوب في الهواء ، وتستنهض شعوب الشرق للكفاح " يوم ألقي القبض عليها " تتغنى بعودة الربيع في المحكمة " "يوم صدر الحكم بسجن زوجها الأول لسبع سنوات " [٥]يظهر الأسلوب الروائي في رسم ملامح الشخصيات ،وأهمها شخصيتها هي وما كانت تمر فيه من انفعالات نفسية

---

[١] الرواية: ص ١١٤

[٢] الرواية :ص ١٦

[٣٣] الرواية :ص ٧١-٧٢

[٤] الرواية :ص٥٧

[٥] الرواية :ص ٣١

،وصراع خارجي وداخلي :" لم يسبق أن تحددت مشاعري بالنسبة للبيت القديم ، يمثل ما تتحدد اللحظة " [١]

٤-استخدام الأسلوب التقريري الإخباري بصورة واضحة في سرد الأحداث التاريخية " لو لم يكن ٦ اكتوبر ١٩٧٣ لما شعرت بالرغبة في الكتابة "[٢]...((.في يوم من أيام يونيه ١٩٦٥ وأخي والمأذون يجلسان في الغرفة المجاورة " [٣]

رابعًا :تقنية التلخيص / والسرد

-تعتبر من تقنيات التسريع كونها تضطلع بالسرد الموجز الذي يكون فيه الزمن (زمن القصة) أصغر بكثير من زمن الحكاية ، الذي تقوم بالمرور عليه جملة دون تفصيل فتقوم في الحكي " على سرد أحداث ووقائع يفترض أنها جرت في سنوات أو أشهر أو ساعات واختزالها في صفحات أو أسطر أو كلمات قليلة دون التعرض للتفاصيل "[٤] فيترتب على ذلك عدم التوافق بين زمن الحكاية الذي يبدو طويلاً واتساع لزمن القصة" الذي يكون في الغالب قصيرًا يختصر بين طرفي فقرة موجزة أو في جمل معدودات تحمل على عاتقها مهمة البوح بكل ما حدث في هذه السنوات الطويلة وهذا ما يفضي عليها طابع التكثيف والاختزال

-ولقد لخصت الكاتبة أحداث السنوات الست الأول ثم أحداث الست الأخرى إلى أن مات أبوها وهي في الثانية عشرة من عمرها إلى أن تخرجت من الجامعة (١٩٤٦)

ثم بعد ثلاث سنوات خرجت من السجن عام (١٩٤٩) فهنا تلخيص للأحداث وأيضًا حذف وثغرات[٥] ثم تعود مرة أخرى إلى الوراء عن طريق لحظة الحكي لما كانت تحكية الجدة[٦] "في حديقة بيتنا القديم شجرة جوافة ..."[٧]

خامسًا: تقنية الحذف أو القطع

تقنية زمنية تشترك مع الخلاصة في تسريع وتيرة السرد ،إذ يعمل على تجاوز فترات زمنية والقفز عليها دون الإشارة إلى الوقائع التي حدثت فيها ،وبالتالي فهو يقوم على تجاوز مدة زمنية

---

[١] الرواية :ص ٢٩-٣٠

[٢] الرواية ص٧٩

[٣] الرواية :ص ٥٥

[٤] انظر :حميد لحمداني : بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ط٢ الدار البيضاء المغرب : المركز الثقافي العربي :ص ٧٦

[٥] الرواية : ص ١٢حذفت الكاتب أحداثًا كثيرة

[٦] الرواية : ص ٢٠-٢١

[٧] الرواية : ص ٢٢

يتم إلغاؤها بفعل الانتقال إلى فترات زمنية أخرى فهي تقنية فيها وحدة معدومة من زمن القصة بالتطابق مع وحدة أخرى من الحكاية

ويذهب جان ريكاردو" إلى أن الحذف هو نوع من القفز على فترات زمنية والسكوت على وقائعها من زمن القصّ .. ونوع يلخص القصة والسرد معًا في حالة التنقل من فصل إلى فصل حيث تحدث فجوة في القصة " [١] وكثيرًا ما يلجأ الروائي إلى استخدام هذه التقنية عندما يصطدم بصعوبة سرد الأيام أو تقديم الأحداث بشكل متسلسل لاستحالة القدرة على الالتزام بتتبع سرد الزمن الكرونولوجي . [٢]

حيث تعود الكاتبة إلى الحذف من عمر الساردة حيث قفزت من عمر السادسة إلى الثانية عشرة من عمرها ثم ذهابها إلى القاهرة وزواجها ثم قفزة أخرى إلى زواجها الثاني من (١٩٤٩) إلى(١٩٥٢) ثم قفزة أخرى وتلخيص للأحداث من (١٩٥٢-) (لمدة ثلاثة عشرة سنة) ثم انفصالها عن الزوج الثاني ١٩٦٥ تقول "تنقلت في حياتي بين الكثير من المساكن ...وحين تزوجت زيجتي الأولى بدأت مرحلة جديدة من مراحل الانتقال من مكان إلى مكان ....كان زوجي الثاني يقول مبررًا للانتقال من مسكن إلى مسكن آخر أريد لك الأفضل والأحسن يا حبيبتي"[٣]

وفي هذه الفترة الزمنية ظهرت تيارات واتجاهات سياسية وفكرية عديدة، وظهرت الفكر الشيوعي والفكر الماركسي في العشرينات ، وبذور الجمعيات والروابط الإسلامية التي أصبحت أحزابًا ،وقد عكست بذور أفكار هذه الأحزاب والجمعيات في تصرفات وممارسات الشخصيات الروائية (وخصوصًا) الساردة حيث تنتمي إلى المعسكر اليساري في الفكر المنبثق من عباءة الشيوعية .

سادسًا :العنوان بين الحسي والمعنوي

يعتبر عنوان " حملة تفتيش " جامعًا لكل ما تحمله العبارة من الحاجة الملحة للبحث والتقصي ، في غرض الكشف والظهور ، وفي غرض الاعتقاد بأن ما يقوم به ينبغي أن يتمخض عن نتيجة ما " وفي هذه القصة تجري عملية التفتيش على مستويين : المستوى مادي يشير إلى حملة تفتيش واقعية تجريها إدارة السجن ، ومستوى معنوي يشير إلى غرض الراوية في أعماق ماضيها ،واستدعاء حقب متباينة من فترات عمرها بدت عند بداية الحدث جزرًا منعزلة بعضها والبعض ومتضاربة بعضها وبعض والحدث الخارجي ، أي حملة التفتيش المادية هي بالطبع التي تستدعي الحدث الداخلي ، والتفاعل فيما بينهما تفاعل دائب" [٤]

---

[١] انظر :رسالة ماجستير للباحثة وهيبة بوطغان :البنية الزمنية في رواية عابر سرير لأحلام مستغانمي ، جامعة المسيلة عام ٢٠٠٩ الجزائر ص ١٧٩

[٢] السابق :ص ١٧٩

[٣] الرواية :ص ٢٧

[٤] لطيفة الزيات :تجربتي في الكتابة "ملحق رواية حملة تفتيش " : ص ١٧٥

فالكتابة في أوراقها تعرض لنا صراعًا على أكثر من مستوى ،بحيث تكتسب أوراقها صفة الرمزية لمراحل مختلفة من عمرها ، وبحيث تمثل صورة أقرب ما تكون إلى صورة الأوراق المبعثرة غير المنظمة ،لتمثل في نهاية العمل ترتيبًا وتنسيقًا لها ، يمنحها فرصة للبدء من جديد وبذلك تكون قد استطاعت كسر المفهوم التقليدي للسيرة الذاتية ، من كونها كشفًا وتعرية في نهاية العمر ، لتصبح في مقتبل العمر ، أو لمن يتطلع إلى عمر جديد في بداية جديدة ،تهدف إلى التصالح مع الذات وتجاوز قصورانها ومعرفة حقيقيتها: "ونجد أنفسنا في هذه القصة إزاء صراع على أكثر من مستوى يتأزم ويلاقي في النهاية الحل ،وأوراق تنتظم بعد حالة من عدم الانتظام ، والأوراق تكتسب صفة الرمزية ، لا كمجرد أوراق شخصية بل كمراحل من العمر تتلاقي وتندرج أخيرًا في كل مفهوم ، وتشكل "حملة تفتيش" أهمية بالنسبة لي ، من حيث تمسك بصراع رئيسي في حياتي ، وتسجل انفراج هذا الصراع انفراجًا يدعو إلى التصالح مع الذات " [١] ((شيء ما يبقيني مكتفية بذاتي ومستغنية راضية ومتصالحة مع هذه الذات ،ولا أعود أهتم وأسطورتي تتحطم آخر أساطيري ،وأرجو أن تكون))[٢] تذكر لطيفة الزيات أنها قرأت قصة " حملة تفتيش على بعض الناقدات ،فكان رد الفعل مشجعًا على استكمال القصة ، أو نشرها على ماهي عليه ، فعانق إحساسها الخيار الأول من طلب الاستكمال :" وتركت القصة لسنوات دون أن أنشرها بعد أن استقر في اعتقادي تدريجًا أنها تطالب بالاستكمال ، من حيث هي أقرب ما تكون إلى نهاية عمل دون الخلفية والتبرير الذي يجعل إشارتها دالة ، والقصة تنطوي على صراع عمري الرئيسي ، والذي تندرج في إطاره الأحداث الرئيسية في حياتي ، سواء الخاص منها أو العام ، كما تنطوي القصة على حل لهذا الصراع الذي اقتضاني على مستوى الحياة قدرة هائلة على مواجهة الذات ، بكل سلبياتها ونواقضها ،وقدرة هائلة على التجاوز والاستمرار من خلال المواجهة "[٣]

ومن خلال الشهادات يتضح لنا أن هذا العمل جاء استجابة لرغبة ذاتية في نفس الكاتب لكتابة سيرته الحياتية وجاء صدى لتجربة ذاتية مرت بها الكاتبة ثم تبلورت التجربة في شكلها الأولى على هيئة قصة ثم صارت عملاً متكاملاً بعد جهد الصقل والتشكيل.

فإلحاح التجربة الذاتية كان الدافع خلف عملية التشكيل واعتمادها على تقنيات التخيّل لصياغة تجربتها كانت هي التقنية الكبرى والرئيسية في صياغة العمل الفني .

---

[١] تجربتي في الكتابة :ملحق رواية رواية تفتيش : ١٥٨

[٢] السابق ص ١٢٦

[٣] نفسه :١٥٨

٤-الخاتمة وأهم النتائج

وبعد هذا التطواف توصلنا لجملة من النتائج

١- تنمي رواية "حملة تفتيش" إلى رواية السيّر ذاتي وذلك باعترافات الكاتبة حول العمل وبكتابة "سيرة ذاتية " على الطبعة التي اعتمدها الباحث وهي طبعة دار الكرمة .
٢- تنضم أيضًا إلى حقل أدب السجون والأدب النسوي الي تعبر فيها الأنثى فيها عن أدق مشاعرها الخفية دون مواربة أو خجل .
٣- امتازت السيرة الذاتية بالثنائية على جميع الأصعدة الحسية والمعنوية .
٤- تعتبر تجربة السجن من التجارب التي أصقلت فكر الكاتبة حيث عمدت فيه إلى التأمل والمراجعة لتنتهي أخيرًا إلى المصالحة مع الذات
٥- أدب السيرة الذاتية مفتوحًا لكل الطروحات النقدية دون الوصول فيه إلى كلمة الفصل النهائي، وذلك لمرونة هذا الجنس الأدبي واستفادته من كل الأجناس الأدبية الأخرى .

٥-المصادر والمراجع

١-جان ريكاردو "قضايا الرواية الجديدة " ترجمة صياح جهيم وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٧٧ م

٢-جيرالد برنس : المصطلح السردي :ترجمة عابد خازندار ط١ القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة المشروع القومي للترجمة العدد ٣٦٨

٣-حميد لحمداني : بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ط٢ الدار البيضاء المغرب : المركز الثقافي العربي ٢٠٠٣

٤-خيري دومة :تداخل الأنواع في القصة القصيرة المصرية (١٩٦٠-١٩٩٠) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨م

٥-رولان بارت : التحليل البنيوي للسرد ترجمة حسن بحراوي :بشير قمري عبد الحميد عقاد ضمن (طرائق تحليل السرد الأدبي)

٦--زينب العسال : تفاعل الأنواع في أدب لطيفة الزيات :كتابات نقدية ع (١٤٠) الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ط أولى ٢٠٠٣

٧-سيزا قاسم " القارئ والنص " العلامة والدلالة : الهيئة المصرية العامة للكتاب مكتبة الأسرة ٢٠١٤

٨-فريال غزول ،أوراق شخصية : نموذجًا للصيرورة الذاتية ،أدب ونقد ،ص ٣٧ ،ع١٠٦ ، يونيو ١٩٩٤

٩-عبدالله إبراهيم : السردية العربية : بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي : المركز الثقافي العربي طب١ يوليو ١٩٩٢

١٠-غاستون باشلار : جماليات المكان ، ترجمة غالب هلسا ،ط٢ ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر – لبنان ، ١٩٨٤م

١١-لطيفة الزيات :رواية حملة تفتيش .. أوراق شخصية : طبعة دار الكرمة القاهرة ٢٠١٦

١٢ -مرسل العجمي ، السرديات مقدمة نظرية ط١ الكويت : مجلس النشر العلمي جامعة الكويت الرسالة ٢٠٦ الحولية الرابعة والعشرون ٢٠٠٣-٢٠٠٤

١٣-ممدوح فراج النابي: رواية السيرة الذاتية : الهيئة العامة لقصور الثقافة الطلعة الأولى : ٢٠١١

١٤-محمود أمين العالم " الرواية بين زمنيتها وزمنها :مقاربة مبدئية عامة مجلة فصول الهيئة العامة للكتاب القاهرة ربيع ١٩٩٣م،

١٥-والاس مارتن : النظريات السردية الحديثة ترجمة دكتوره حياة جاسم محمد المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٨

١٦-وهيبة بوطغان :البنية الزمنية في رواية عابر سرير لأحلام مستغانمي ، "رسالة ماجستير "جامعة المسيلة الجزائر ٢٠٠٩

Introduction

This critical study of the Novel "The Inspection Campaign... Personal Papers" by Latifa Al-Zayyat seeks to critically treat this text as an "autobiography", according to the modernist critical methodology. The researcher adopted the narrative theory as an approach to the text in order to apply the structural-formative approach" to this biographical text, because it is the closest approach to linking the contents of the text with its context. Other modernist critical approaches will be also benefited from. Thus, atomistic tendency is bypassed in analyzing the literary text, as long as the text is the product of social conditions beyond the will of the novelist, and as long as there is a relationship between thought and reality. Therefore, the literary text opens up to higher levels of awareness and perception, and turns into a (vision) of the world with social significance that organizes its space.

For this critical rapprochement, the researcher chose two approaches. One is the structure of the narrative discourse in terms of formality. The other approach is the vision of the world (the content of this discourse), with the recognition that those interested in the study of the narrative do not acknowledge the existence of a theory that answers all questions and theoretical theses in the field of narrative research, especially if it is a text that belongs to the autobiographical novel. Such rapprochement necessitated that the research proceeds, according to two approaches. The first one deals with the elements of the story that make up its structure (event, characters, temporal relations, dimensions of place and the prison experience, which was a strong motive for writing those memoirs).

The second approach dealt with the role of the narrator in formulating the discourse. The narration was distinguished with duality at all levels, i.e. between pronouns and verbs in order to finally obtain the meaning of the title and determine the identity of the literary genre through parallel texts (testimonies about the artwork).

The Narratological Structure Of Latifa Ezzayyat's An Inspection Campaign Into Private Papers

2- First Axis: Elements Of Fiction

First: Fictional Event; Secondly, Fictional Character; Thirdly, Temporal Relationships; Fourthly, Spatial Dimensions: A-Favourite Places (Home); B-Forced Stay Places (The Prison)

3- Second Axis: Formulation Of The Narratological Discourse

First: Duality And Its Role In The Formulation Of Discourse (The Game Of Pronouns)

Second: Oscillation Between The Past And The Present

Third: Emotional Style And Narration

Fourth: The Technique Of Summary And Narration

Fifth: The Technique Of Ellipsis And Narration

Sixth: Titles Between The Tangible And The Abstract Conclusion

References And Resources The literary text, as long as the text is the product of social conditions beyond the will of the creator, and as long as there is a relationship between thought and reality, and thus the literary text opens to higher levels of awareness and perception, and turns into a (vision) of the world with social significance that organizes its space.

For this critical approach, the researcher chose two tributaries: the formal structure of the narrative discourse, and the tributary

The Narratological Structure of Latifa Ezzayyat's An Inspection Campaign into Private Papers

By

Dr. Ibtisam Ragab Tabl

Assistant Professor Faculty of Sciences and Arts at Tabargalm
Aljouf University

Abstract:

This critical study of "The Inspection Campaign Novel ... Personal Papers" by Latifa Al-Zayyat seeks to critically treat this text as a "autobiography" according to modernist critical approaches. Al-Tawkili" is based on this biographical text, because it is the closest approach to linking the inside of the text with its outside, and we do not neglect to benefit also from other modernist critical approaches The Other: Seeing the World (the content of this discourse) with the recognition that those interested in the study of narrative do not acknowledge the existence of a theory that answers all theoretical questions and theses in the space of narrative research, especially if it is a text that belongs to the autobiographical novel. This approach required that the research proceed according to two axes: the first speaks About the elements of the story that make up its construction (event, personality temporal relationships, space dimensions, and prison experience, which were a strong motive for writing these memoirs.

As for the second axis: dealing with the role of the narrator in formulating the discourse and distinguishing the narration with duality at all levels between pronouns and verbs, to finally conclude the significance of the title and identify the literary genre through parallel texts (testimonies about the artwork)

Keywords: The narrative structure, search campaign, is nice.